أثر الشروح النحوية الجزائرية في تعليمية النحو العربي " فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى " لعبد الكريم الفكون نموذجا

الدكتور: نورالدين دريم

قسم اللغة العربية- جامعة الشلف

الملخص:

تُحفظ هوية كلّ أمة بتراثها الذي خلّفه السلف منها للخلف، والتراث اللغوي الجزائري جزء لا يتجزّأ من التراث اللغوي العربي الذي ورثناه عن أولئك العلماء الأجلاء، الذين لم يدخروا جهدا في بيان قضاياه ومسائله، واليوم إذا ما أردنا مكاشفة هذا التراث فينبغي أن نتسلح بالروح العلمية الموضوعية التي تنبني على الفحص الدقيق له؛ لسبر أغواره واستجلاء مكنوناته، من هنا حاولنا أن نلامس إرث أسلافنا النحويين الأفذاذ، إنّه كتاب " فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى " للشيخ عبد الكريم محمد بن الفكون القسنطيني.

الكلمات المفتاحية: الشروح النحوية ; تعليمية النحو ; عبد الكريم الفكون ; التراث اللغوي الجزائري

عمل الفكون – سيرا على نهج القدماء – كتابا على كتاب الشريف بن يعلى ، وهذا الأخير هو عبارة عن شرح للأجرومية، أورد فيه صاحبه الكثير من الشواهد الشعرية التي دلّل بها على قضايا لغوية كثيرة، وهذه الشواهد الشعرية هي التي ندب الفكون نفسه إلى شرحها في " فتح المولى "، مبيّنا معانيها اللغوية وأوجه إعرابها، مقدّما الأدلة على ما ذهب إليه من شرح أو إعراب " فجاء الكتاب عبارة عن روض أنيق يتضوّع منه أريج الشعر الرزين، والحديث النبوي الشريف، والحكايات الأدبية الرائقة "، بأسلوب شيّق رائق سلس سهل.

إنّ الناظر في " فتح المولى " ليجد الفكون قد أطال التوقف عند بعض المسائل النحوية؛ لهذا السبب آثرت أن أقيم متن هذا المقال الموسوم بـ " **أثر الشروح النحوية الجزائرية في تعليمية النحو العربي" فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى " لعبد الكريم الفكون نموذجا.**

وسأحاول أن أبرز فيه أهم الآراء النحوية التي تضمنها شرحه لشواهد كتاب الشريف بن يعلى. وأثر ذلك في تعليمية النحو، من خلال دراسة العناصر الآتية:

- ترجمة عبد الكريم بن محمد الفكّون.
- المكانة العلمية للفكون في الدرس اللغوي الجزائري.
- مادة كتاب فتح المولى ومنهج صاحبه فيه.
- الآراء النحوية للفكون في هذا الشرح وقيمتها العلمية في تعليمية النحو.

1- من هو الفكّون:

هو الشيخ الفقيه العلاّمة الفهامة، عبد الكريم بن محمد بن الكريم الفكّون القسنطيني، وقد عرف بالفكوك الطرابلسي كما ورد في كتاب هداية العارفين[1]، وأطلق عليه بعضهم اسم " الفقون "[2] ، وأشهر هذه التسميات الفكّون،

فقد ذكر أبو القاسم سعد الله[3]، – رحمه الله – أنّ عائلته سميت بالفكون نسبة إلى فكونة، وهي قرية واقعة بمنطقة الأوراس في الشرق الجزائري.

ولد عبد الكريم الفكّون سنة (988هـ = 1580م)، في كنف عائلة شهد لها الداني والقاصي بالسيادة العلمية، ورث العلم فيها أبا عن جدّ، وقد سمي باسم جدّه؛ لأنّه ولد في السنة نفسها التي توفي فيها جدّه عبد الكريم[4]، ويكنّى الشيخ بأبي محمد، كما ذكر ذلك هو عن نفسه، جاء في كتابه " شرح شواهد الأجرومية "، " قال: الشيخ الفقيه الإمام العالم العلاّمة، اللغوي النحرير أبو محمد عبد الله الكريم "[5].

جمع الشيخ عبد الكريم الفكّون بين علمي الظاهر والباطن، فهو أمير ركب الجزائر وقسنطينة، سار " على نهج أبيه وعادته، محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والحلم والوقار، فأحبته القلوب ومالت إليه النفوس"[6]، لا لشيء سوى أنّه نبغ في علوم شتى، يأتي على رأسها العلم الشرعي والعلم اللغوي وكان في ذلك كله عصاميا لم تطأ قدامه مدارس نظامية ولا مراكز علمية، بل كان يرتاد مكتبة عائلته الغنية الثرية بالمؤلفات لينهل منها ما يشاء مطلقا العنان لذكائه الوقاد الذي مكّنه من هذه المنزلة العلمية بين أقرانه، فالفضل كل الفضل يرجع إلى الله عزّ وجلّ ثمّ إلى والده الذي كان أول شيوخه.

ذكرنا أنّ الفكون درس علوما كثيرة، إلاّ أنّ هناك قصة طريفة حدثت له، كانت من بين الأسباب التي أدت به إلى تعلّم علم النحو، ذلك أنّه رأى في المنام بأن جدّه أعطاه ورقة كتب عليها "كان فعل ماض"، ففسّر الفكّون رؤياه بأنّ جدّه ينصحه بتعلم علم النحو[7].

عرف الشيخ الفكون بزهده وورعه وتعفّفه، وحرصه على العلم والمعرفة، كما جاء ذلك في كتب من ترجموا لسيرته، وليس من الهيّن أن تأتي بأفضال الشيخ وخصاله الحميدة في وريقة بحثية، ويكفينا في هذا الموضع ذكر قول الناصري – متحدثا عن بعض خصاله –، هو " عالم تلك الدرة، وعاملها، وصالحها، وناصحها، وزاهدها، ورائدها، وذروة شرفها وبركة سلفها، وأنجب خلفها"[8].

إنّ الحديث عن عصر الفكون، يتأتى معه الحديث عن الصراع الذي كان قائما آنذاك بين الإسلام والنصرانية؛ لأنّ الفكون عاش أوج فترة بلغها الصراع بينهما، فالإسلام كان ممثلا من قبل الدولة العثمانية التي كان آل الفكون تحت لوائها، وأمّا النصرانية فمثلتها الدولة الإسبانية[9]، أدرك الفكّون خلال هذه الفترة جلّة من العلماء البارزين، وعلى رأسهم: أحمد المقري، ويحي الشاوي، وعلي البهلولي، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري، وغيرهم كثير ذكرت كتب التراجم، تقلّد الفكّون خلال حياته عدة وظائف منها : التدريس، والخطابة، والإمامة، ورعاية الأوقاف...وغيرها.

تتلمذ الشيخ على يد علماء كثر منهم : أبوه محمد الفكّون، قال عنه "وأعقب الجد والدي أبا عبد الله محمدًا، تولى بعده خطبة الإمامة بجامعها الأعظم الأقدم، وكان فقيها صوفيا "[10]، ومحمد التواتي الذي كان على دراية واسعة بعلم النحو فقد لقب بسيبويه زمانه، أخذ عنه الفكّون النحو والصرف، ومحمد بن راشد الزواوي، كان هذا الشيخ وراء التعلّق الشديد للفكّون بعلم النحو، وسليمان القشي: اشتهر هذا الشيخ بقراءة القرآن والفقه، تلقّى الفكون على يديه الفقه والنحو، وقد ذكر الفكون ذلك في قوله " ومن أشياخنا في البداءة الشيخ البركة أبو الربيع"[11]، وأبو الربيع كنية اشتهر بها

الشيخ سليمان القشي، وعبد العزيز النفاتي أخذ الفكّون عنه الفرائض والحساب، وأبو عبد الله محمد الفاسي المغربي أخذ عنه الفكّون بعض مسائل الفرائض؛ لأنّ الفكّون رأى في هذا الشيخ ضعفا كما ذكر[12].

تعددت مناهل الشيخ عبد الكريم الفكّون بتعدد شيوخه، فكان ذلك سببا مباشرا في نبوغه في علوم كثيرة؛ ممّا جعل الكثير من طلبة العلم يحجون إليه ويقصدون علمه سواء منهم من قطن قسنطينة أو خارجها؛ لذلك تلقّى عنه العلم تلامذة –كانوا من أبرز علماء الجزائر – وهم: عيسى الثعالبي، يحي الشاوي، علي بن داود الصنهاجي، أحمد الميلي، محمد وارث الهاروني، محمد البهلولي، أبو القاسم بن يحي، أحمد بن ثلجون، محمد بن باديس.

آثاره:

خلّف الفكون تراثا علميا ثرّا في علوم متنوعة كالفقه والنحو والحديث، كما ذكر كلّ من ترجم له أو حقّق بعضا من تراثه، إلاّ أنّ الغالب من أعماله أسماء بلا مسمّيات في نظر بعض المحقيقن[13] إلاّ أنّ هذا الأمر لم يكن حائلا بيننا وبين أعماله الموسومة[14]، ومنها: منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية، فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف، الدرر في شرح المختصر، محدد السنان في نحور إخوان الدخان، ديوان شعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، العدّة في عقب الفرج الشدة، فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، شرح شواهد الشريف على الآجروميّة، حوادث فقراء العصر، فتح الهادي في شرح جمل المجرادي، فتح المالك على لامية ابن مالك، سربال الردة في جعل السبعين لرواة الإقراء عدّة في القراءات، مجموعة خطب، سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل(وهذا المؤلف عبارة عن قصيدة).

لما كان الجدث محطة فارقة بين الحياتين الدنيا والآخرة، كان لزاما على كل آدميّ أن ينزله، فبعد حياة حافلة بالعطاء والتأليف المتنوع، وافت المنية الشيخ عبد الكريم الفكّون " عشية الخميس 24 ذي الحجة سنة 1073هـ (الموافق لـ1662م) شهيدا بالطاعون "[15] .

2– اسم الكتاب:

لم يقع ناظر المترجمين للفكون ولا ناظر الباحثين في التراث الجزائري، على كتابه هذا؛ لذلك اختلفوا في تسميته، فسمّوه تارة " بفتح المولى "، وأخرى " بشرح شواهد أبي يعلى "، وفي مقدّمتهم " الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله – رحمه الله – الذي قال عنه: شرح على شواهد الشريف بن يعلى على الأجرومية، لقد ذكر الأستاذ مادة الكتاب ومحتواه، لكنّه لم يهتد إلى اسمه"[16]، ولعلّ عنوانه الأصوب " فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى "؛ لأنّ المؤلف (الفكون) قد صرّح به في آخر مقدّمة الكتاب[17].

3– سبب تأليف الكتاب:

جرت العادة عند المتقدمين من العلماء، أن يذكروا سبب أو أسباب تأليفهم لكتبهم، وقد سار الشيخ عبد الكريم الفكّون القسنطيني الجزائري على نهج هؤلاء، وضمّن مقدمة كتابه السبب الذي دعاه لتأليفه، يقول " لما تكرر على الطلبة في القراءة النحوية من شرح الأجرومية للعالم العلم النحرير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعلى الحسني ما استشهد به من الشواهد، وعسر فك مقفلها وإعرابها واستخراج ما فيها من الفوائد، وكان هذا التأليف لا يستغنى عنه،

ولا بدّ لمن طلب الاقتباس من هذا العلم منه؛ لاحتوائه على أحكام جمّة وأبحاث مهمّة، ورأيت كثيرا ممن نظر فيه من بلدنا للاستفادة، وحلّ بحماه من أهل زماننا طالبا منه الإفادة، لا يتعرض لقراءة شواهده إلا سردا، ولا يتنبه لما انطوت عليه من مكنون لغاتها بدءا وردّا، مع أنّه لا يخلو في قراءته لها من لحن فظيع، وتغيير شنيع، لعدم الظفر بإمام يرجع إليه، وعماد يصار في كشف ما عسر من ذلك لديه، على أنّي ربما ألجأني الحال من فقد العلماء إلى إقرائه للأصحاب، وإبدائه للطلاّب، رأيت أن أتمّم نكته الفائقة، ويواقيته الرائقة بالكلام على كمال الإفادة به لطالبها، والانتفاع بما فيه لراغبها "[18]، إنّ المتأمل في هذه الأسباب ليجدها واقعية تحمل الفكّون على ما قام به، فعصر الفكّون كان حافلا بشرح المنظومات والمدوّنات، وعمله هذا من قبيل شرح الشرح، أي شرح الأبيات الشعرية التي استدل بها ابن يعلى في شرحه للأجرومية (نظم نحوي)، والسبب الثاني وجيه وهو التعلّم إن من قبل الطلبة ، أو من غيرهم، ثمّ افتقاده لمن يخرج هذا الشرح إلى الناس.

4- أسلوب الفكّون في فتح المولى:

لما كان مقام الفكون مقام معلّم، وكان لزاما عليه أنّ يقدم مادته العلمية في أيسر صورة، ليتقبلها المتعلم كما ذكر، قال" على أنّي ربما ألجأني الحال من فقد العلماء إلى إقرائه للأصحاب، وإبدائه للطلاّب، رأيت أن أتمّم نكته الفائقة، ويواقيته الرائقة بالكلام على كمال الإفادة به لطالبها، والانتفاع بما فيه لراغبها"[19].

امتاز أسلوب الفكّون بالسلاسة، والسهولة، والفصاحة، والوضوح، فجعل منه أسلوبا سائغاً محكماً وأمّا عبارته فقد اتّسمت بالوضوح، فقد خلت من الغريب والتعقيد، ارتبط بعضها ببعض، وشكّلت نصا مترابطا منسجما ومتسلسلا تسلسلاً منطقياً، فهو لا ينتقل من باب نحوي لآخر إلا إذا بيّن ما وقف عليه من خلال شرحه لأبيات الشريف التي احتجّ بها في شرح الأجرومية.

كان الفكّون ممنهجا في طرح قضاياه اللغوية سواء ما تعلّق باللغة أو الإعراب الذي تعلّق بالشواهد الشعرية، وهذا الأسلوب من أفضل الطرق التعليمية، وأوفاها بالغرض، لأنّه يشدّ انتباه المتعلم، ويجعله يتعايشه معه في مشهد علمي.

5- مادة الكتاب:

إنّ أدنى تأمل في كتاب فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، يوحي لك بما تضمّنه هذا الإرث القيّم، فهو عبارة عن شرح جملة من الشواهد الشعرية التي ذكرها ابن يعلى في شرحه للأجرومية، مدّعمة بإعراب تفصيلي ومجمل لهذه الشواهد، فالمؤلف رسم لنفسه منهجا التزم به في جميع ثنايا كتابه، إذ يردف كل شاهد شعري بشرح لغوي مستفيض، ثمّ يعقبه بإعراب تفصيليّ في كل موضع من مواضع كتابه، " وأورد فيه الكثير من الفوائد اللغوية، ودلّ عليها بما لا يقلّ عن مائة شاهد شعري"[20]، فلم ينأ عن ذكر بعض المسائل الخلافية بين النحوية متى دعته الضرورة، ولم يمر على خطأ في نسب شاعر إلى قبيلته العربية أو خطأ في نسبة شعر لغير قائله إلاّ وصحّحه، ولم يهمل شرح الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرها في بعض المواضع، وأسهم في مواضع ببعض التصويبات اللغوية، ولم يذر نادرة تدعم موقفه إلا أتى بها، وقد تمكّن له ذلك بفضل ما نقله عن أكابر علماء اللغة والنحو والفقه والحديث – قدامى ومحدثين- ... وغيرهم نقلا مباشرا أو غير مباشر؛ حتّى جاء الكتاب على حدّ وصف المحقق: " عبارة عن روض أنيق يتضوّع منه أريج الشعر

الرزين، والحديث النبوي الشريف، والحكايات الأدبية الراقية، مع ترجمة للشعراء بين المختصرة والمستوفاة، كل هذا في أسلوب شيّق رائق، تقرأه في يسر وسهولة "[21]. فنعم المؤلِف والمؤلَف.

6- آراؤه النحوية في فتح المولى وأثرها في تعليمية النحو:

رأيه في وصف الشيء بنفسه:

قال في إعرابه للبيت الشعري:

شكا إليّ جملي طول السُّرى مهلا رويدا فكلانا مبتلى

فيما نقله عن الوعيني " ومهلا قال العيني[22]: منصوب بفعل محذوف أي أمهل إمهالا، ورويدا صفته"[23]، لم يرض الفكون بجعل رويدا صفة لـ " مهلا " في البيت المذكور آنفا، وعقبّ على إعراب العيني قائلا " قلت في جعله – يقصد العيني – رويدا صفة نظر إذ معناه كمعنى المهل، وإنّما يفترقان والحالة هذه لفظا والشيء لا يوصف بنفسه والظاهر جعله تأكيدا لما قبله معنى"[24]، ورأى الفكّون ذلك؛ لأنّ لفظ المهل ورويدا عنده بمعنى واحد، وقد تقدّم ذلك في ثنايا كتابه، حين قدّم شرح البيت لغة حيث قال " مهلا : بسكون الهاء الرفق ...وقال الجوهري : المهل بالتحريك التؤدة والتباطؤ، ورويد تصغير رود بمعنى المهل "[25]. لذلك رأى الفكون أنّ رويدا في البيت توكيد معنوي لمهل وليس صفة.

رأيه في قط:

قال شاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني

يرى العيني فيما نقله الفكون عنه أنّ " قطني " في البيت بمعنى حسبي، ولما أخذ الفكون بقول العيني في لغة البيت قال " وعليه فهو اسم – يعني قط – دخلت نون الوقاية عليه صونا من زوال السكون، كما دخلت في لدن فقيل لدني، ويحتمل أن يكون اسم فعل بمعنى يكفي، ودخول النون فيه كما تدخل في يكفيني، وهذان وجهان فيه، والثالث من أوجهه أن يكون ظرف زمان، ولا يصلح معناه هنا "[26].

يستفاد من كلام الفكون أنّ قطّ ترد على ثلاثة أوجه وهي:

- اسم بمعنى حسب، وهي في هذا المعنى اسم كباقي الأسماء تعالج معالجتها، وبالتحديد هو اسم مبني على السكون؛ لأنّ الفكون أوضح أنّ السكون ملازم له بدليل دخول نون الوقاية عليه التي وقته من الكسر حين أضيف لياء المتكلم، وقاس دخول النون فيه على دخولها في لدن.

- اسم فعل بمعنى يكفي، ودخلت عليها نون الوقاية كما دخلت على يكفني، فهي ألصق في هذه الحال بالأفعال أكثر منه بالأسماء.

- ظرف زمان.

رأيه في من

قال النابغة الذبياني:

وقفت فيها أصيلانا أحدّثها عيّت جوابا وما بالربع من أحد

لما أعرب الفكون البيت إعرابا تفصيليا، أورد رأي الشريف بن يعلى في " من " وهي عنده (الشريف) لاستغراق الجنس[27]، ثمّ خالفه ورأى أنّها زائدة للتوكيد، قال ردّا على الشريف بن يعلى " وإنّما تكون كذلك مع نكرة لا تختصّ بالنفي؛ لأنّها تدل على العموم نصّا، فزيادة من معها للتأكيد"[28]. وقد أصاب الفكون فيما ذهب إليه؛ بدليل ما ورد عند ابن هشام في المغني في حديثه عن معاني " من "، إذ ذكر أنّ من معاني " من " : " التنصيص على العموم، وهي زائدة في نحو ما جاءني من رجل، فإنّه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة، ولهذا يصح أن يقال بل رجلان ويمتنع ذلك بعد دخول من "[29]، فكذلك الحال في هذا البيت.

رأيه في سوف:

السين وسوف حرفان يختصان بالمضارع ويخلّصانه للاستقبال، ويرى البصريون أنّ المدة مع سوف أوسع منها مع السين، ويرى الكوفيون أنّهما مترادفان، أمّا ابن هشام أنّ كثرة الحروف في الثاني دلت على كثرة المعنى فيه، " ويقال فيها سف بحذف الوسط، وسو بحذف الأخير، وسي بحذفه وقلب الوسط ياء مبالغة في التخفيف "[30]، هذا ملخص رأيه، أمّا الفكّون فيرى أنّ سو مقتطع من سوف آخذا برأي الشريف بن يعلى، والذي أخذ بدوره برأي الكوفيين في هذه المسألة، يقول " سو : مقتطع من سوف حكاه الكسائي، وفيه الشاهد وعلى ذلك أنشده الشريف"[31]، وعضد رأيه بالقياس حين قاس سو على كي كونها مقتطعة من كيف، ودعم قياسه ببيت من الشعر[32]، يقول فيه صاحبه:

كي يجنحون إلى السجن وما تيرت قتلاكم ولظى الهيجاء تضطرم

إنّ القياس الذي طبّقه الفكون في هذه المسألة يحتوي على أركانه الأربعة، إلاّ أنّ الملاحظ هو أنّ المقيس والمقيس عليه من جنسين مختلفين، فالمقيس حرف والمقيس عليه اسم، فربّما أجرى الفكون هذا القياس من قبيل أنّ جنسهما واحد، هو الكلمة، فيكون قياسه صحيحا.

رأيه في التثنية :

من خصائص العربية التثنية، فأصل رجلان رجل ورجل، فالاسم الأول مع الثاني اتّحدا لفظا ومعنى، وهناك نمط آخر من التثنية يغلّب فيه اسم على آخر، حيث أنّ الاسم الأول يخالف الثاني لفظا، نحو العمران والمقصود منه: أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما –، وقد استدل الشريف ببيت جرير:

ما كان يرضى رسول الله فعلهما ولا العمران أبو بكر وعمر

فالتثنية في نظر النحويين والشريف بن يعلى واقعة على الاسمين مع بقائهما على الحالة التي كانا عليها قبلها من اختلاف اللفظين، لم يرض الفكون بهذا التخريج، وأخذ برأي الدماميني حين نقل قوله قائلا " لا نسلم أنّ التثنية وقعت في مثل ذلك مع بقاء الاسمين على الاختلاف في اللفظ، وإنّما وقعت بعد جعلهما متفقي اللفظ بالتغليب، ونقل عن بعض المحققين أن شرط ذلك تصاحبهما وتشافههما حتّى كأنهما شيء واحد، فتماثل أبو بكر وعمر فقالوا العمران

والحسنان والقمران "[33]، ومعنى ذلك أنّ الفكون يرى في التثنية في مثل هذا أن يتطابق اللفظين المختلفين معا عن طريق التغليب، وإنّما يحصل التطابق بالتداول حتّى يصيران على أنّهما شيء واحد، والتغليب ههنا معناه الخفّة وإن كان أحد الاسمين مذكرا والآخر مؤنثا كما في الشمس والقمر، فيقال : القمران، وأكّد الفكون على هذا الرأي بما ذكره المبرد في الكامل من أنّ العرب تفعل هذا في الشيئين إذا جريا في باب مجرى واحدا[34].

رأيه في كسر نون جمع المذكر السالم في حال الجر بالإضافة:

أنشد الشريف في باب الجمع المذكر السالم بيت الفرزدق الذي قال فيه :

ما سدَّ حيّ من الأحيا مسدّهم إلاّ الخلائف من بعد النبيينِ

ورد لفظ النبيين (وهو جمع مذكر سالم) في بيت الفرزدق مكسورا ، وخرّج الشريف بن يعلى كسر النون فيه على الضرورة، فلم يرتض الفكّون هذا التخريج، وأخذ برأي المبرّد والأخفش في هذه المسألة، والذي مفاده أنّ جمع المذكر السالم يجب أن يعالج معالجة الجموع الأخرى؛ أي يعرب بالحركات لا بالحروف، وتكون كسرة النون في هذا المقام كسرة إعراب لا ضرورة، يقول الفكون " قلت الذي ذهب إليه المبرّد في الكامل أنّ كسرة النون كسرة إعراب، فهو مخفوض بالإضافة، وعلامة جرّه الكسرة التي على النون، لا بالياء، وهو عنده معرب إعراب الواحد، قال : وجعل هذا الجمع كسائر الجموع، نحو : أفلس ومساجد، وممّا جاء في هذا المذهب قولهم: هذه سنين فاعلم وهذه عشرون فاعلم...وعلى هذا لا يكون كسرها ضرورة، بل لغة أجروه مجرى غسلين في إعرابه بالحركات على النون، وقال به الأخفش الأصغر علي بن سليمان، ولم يفرق بين العقود وغيرها "[35]. فالفكون يرى بأنّ كسرة النون في النبيين ليست ضرورة شعرية، وإنّما هي حركة إعراب، إذ أعرب جمع المذكر السالم في البيت إعراب المفرد بالحركات.

رأيه في حذف نون في اسم الموصول " اللذان ":

أنشد الشريف قول الفرزدق :

أبني كليب أين عمّي اللذا قتلا الملوك وفكّكا الأغلال

قال الفكون في إعراب اللذا، " اللذا: اسم موصول حذفت نونه وأصله اللذان، وفيه الشاهد حيث حذف النون لطول الكلام، وعلى ذلك استشهد الشريف، وكلام التسهيل يقتضي أنّه غير مخصوص بالشعر، وهو كذلك؛ لأنّه لغة بعض العرب "[36]. الظاهر من كلام الفكون أنّ حذف النون في " اللذان " ليس من قبيل الضرورة الشعرية، بل لا بدّ من أن يعمم الحذف في الشعر وفي غيره، وهذا الرأي استقاه من عبارة ابن مالك في التسهيل، ويحمل حذف نون اللذان عنده على أنّه لغة من لغات العرب.

رأيه في معنى أن المضمرة الناصبة للمضارع بعد أو:

أنشد الشريف بن يعلى بيت امرئ القيس في باب نواصب المضارع:

فقلت له لا تبك عينك إنّما نحاول ملكا أو نموت فنعذر

ذكر الفكّون في إعراب " أو نموت "، أنّه " مضارع منصوب بأن المضمرة بعد أو التي بمعنى إلاّ أن ، وعلى هذا أنشده الشريف وهو الشاهد في البيت، واستشهد به الزجّاج على أنّها بمعنى إلى أن أو كي وهو فاسد المعنى"[37].

ربط الفكّون الإعراب بالمعنى وهو مبحث أكّد عليه النحاة – المتقدم والمتأخر – وقولهم مشهور في هذا الشأن " الإعراب فرع المعنى "؛ فنهج هذا السبيل ليبيّن معنى البيت، وهو إن اتّفق مع النحاة في أنّ المضارع منصوب بأن المضمرة بعد أو ، فقد خالفهم – وعلى رأسهم سيبويه والزجّاج – في تقدير المعنى في هذا التركيب وما يماثله؛ لأنّه يرى أنّ أو في هذا الموضع يجب أن تقدّر بـ " إلاّ وحدها " أو " إلى وحدها"، انطلاقا من المعنى، قال معلّلا ما ذهب إليه " قلت : قول النحاة أنّها بمعنى إلاّ أن أو إلى أن غير محرر، وإنّما هي بمعنى إلى وحدها، أو إلاّ وحدها "[38]، وقال في موضع آخر " وتخرّج البيت على أنّها ممّا لا يصلح فيها التقدير على بالثلاثة أحرف، أعني إلاّ أو إلى أو كي والأربعة والرابع حتّى على ما زاد بعضهم "[39]، وإنّما منع الفكّون التقدير بهذه الأحرف الأربعة؛ لأنّ في ذلك فساد للمعنى المنشود الذي طلبه الشاعر، وخلاصة الفكّون في المسألة نبيّنها على النحو الآتي:

– لا يصحّ أن تقدّر بـ " إلاّ أن "؛ أو بـ " إلى أن "؛ لأنّ المعنى حينئذ يفسد، فلو قدّرت بهما يصبح المعنى على النحو الآتي: إلاّ أن أموت فنعذر، أو إلى أن أموت فنعذر؛ أي يكون محاولة الملك أو الموت، والمعنى المراد –كما ذكر الفكّون – أن امرأ القيس لم يرد أن يوجب على نفسه محاولة الملك إلى الموت، وإنّما أراد محاولة الملك إلاّ أن ينقطع ذلك بالموت. فلا يكون الموت سببا في عدم تمكن الشاعر من الملك فهو لا يقاتل لأجل طلب الملك، بل يحاول طلبه من غير إراقة دم، فلا يمنعه من الوصول إليه إلاّ الموت. فالغاية حصول الملك والموت يعترض سبيله.

– لا يصحّ أن تقدّر بـ " كي "؛ لأنّ المعنى يختل، فلو قدّرت يصبح المعنى: نحاول ملكا كي نموت فنعذر، والمعنى الذي أراده الشاعر غير هذا، فمحاولة الملك ليست سببا في الموت، بل محاولة الملك سبب لانتفاء العذل عند الموت.

– لا يصحّ أن تقدّر بـ " حتّى "؛ لأنّه لا يحصل به المعنى المطلوب، فلو قدّرت يصبح المعنى: نحاول ملكا حتّى نموت فنعذر، فيترتب على محاولة الملك الموت، وليس المعنى كذلك، إنّما هو: جعل محاولة الملك غاية، وإن لم يحصل ذلك فلن تنقطع المحاولة إلاّ بالموت.

7– آلية استثمار الآراء النحوية في العملية التعليمية:

مرّ بنا آنفا جملة الآراء النحوية التي أوردها الفكون في شرحه، ولا يخفى على باحث أقطاب العملية التعلمية، فهي المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، فبإسقاط هذه الأقطاب الثلاث على محاور العملية التعلمية نجد أنّ المادة التعليمية تقابل مادة النحو، والمسائل النحوية لا تكاد تخلو من الآراء النحوية فنحن ندرّسها ضمنيا وإن كان بعض المعلمين أو الأساتذة يفردونها في نقاط خارج المسائل النحوية المدرّسة.

إنّ ما نهدف إليه من خلال هذا الطرح هو أن يتم استثمار هذه الآراء النحوية التي اشتملت عليها الشروح النحوية في تعليم النحو، لأنّ الشرح طريقة من طرائق تعليم النحو ظهرت بعد ظهور المتون النحوية وإن لم ترتبط بها ارتباطا وثيقا، ولعلّ شروح كتاب سيبويه الكثيرة خير دليل على ذلك.

إنّ الصعوبة التي يزعمها بعض المتشددين – إن وجدت– في النحو العربي، لا تكمن في المادة المدرّسة بل في الطريقة التي تقدّم بها هذه المادة، ولقد عمدنا إلى شرح الفكون لنقف على أهمية هذه الطريقة في التعليم، فهو انتقل من العام إلى

الخاص؛ أي من الكلّ إلى الجزء، فركّز على عرض المسألة النحوية (الكل) وراح يعرض الرأي النحوي (الجزء) في المسألة النحوية، فلم يهمل الكلّ ولم يخل بالجزء وهذا هو مناط العملية التعليمة.

فينبغي أن نحذو حذو هؤلاء الشرّاح بما يتوافق والواقع النحوي اليوم، فالكل يشكو صعوبة النحو، مع أنّ النحو بريء من ذلك كلّه، فجعل المتعلم داخل دائرة الاهتمام أمر هيّن، وذلك بأن يقدّم له الكلّ ويطلب منه التركيز على جزئياته ليتم في النهاية إدراكهما معا، وذلك بأسلوب يسير سلس، لا يكتنفه غموض العبارة، ولا كثافة الآراء النحوية، ولا تعددها، بل يكتفى بإيراد الراجح منها مع عرض الآراء النحوية الأخرى مشافهة ليكون المتعلم على دراية بها.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة التي تناولت الآراء النحوية للفكّون في كتابه فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عرضا وتحليلا، وأثرها في تعليمية النحو خلصتُ إلى النتائج الآتية:

– التزم الفكّون بما قرّره في مقدّمة كتابه، من شرح للشواهد الشعرية التي استدلّ بها الشريف بن يعلى في شرحه للأجرومية، وإعراب لها، بما توفّر لديه من زاد لغوي ومعرفي، وقد وفّق في ندب نفسه إليه.

– على الرغم من أنّ الفكون أخذ عن أكابر النحويين القدامى إلاّ أنّ ذلك لم يجعله مقلّدا لهم، بل اتّسمت آراؤه بالجدّة، ويظهر ذلك جليّا في مخالفته لجملة من النحاة وعلى رأسهم سيبويه، وقد مرّ ذلك في موضع من هذا البحث.

– لم يخل الكتاب من فوائد لغوية جمّة، بالرغم من أنّ موضوعه الأساس المباحث النحوية.

– اتصف الفكّون بالأمانة العلمية – أيّما اتصاف – ويظهر ذلك في نقوله عن علماء اللغة والنحو وغيرهم، فأنت تجده يذكر من نقل عنهم بأسمائهم تارة، وبمؤلفاتهم تارة أخرى.

– امتاز الفكّون بثقافة علمية واسعة، ويتجلّى ذلك من خلال طرقه لمسائل متنوعة في مواضع كثيرة من كتابه كاللغة والنحو والفقه والحديث والأنساب... وبفكر لغوي ثاقب، ويظهر ذلك من خلال معالجته للقضايا النحوية التي أتى على ذكرها في كتابه.

– إنّ ما قدّمه الفكّون من آراء نحوية اتسمت بالدقة العلمية والموضوعية، تجعل لمؤلفه مكانة مرموقة – ولا فخر – في التراث النحوي الجزائري خاصة والعربي عامة.

– سلك الفكّون في كتابه طريقة علمية في تعليم النحو، يمكن أن نستفيد منها في زمننا؛ للتخلّص من عقدة صعوبة النحو العربي.

– إنّ أهم نتيجة يمكن أن نخرج بها هي:

يعدّ التراث الجزائري معينا لا ينضب لكل دارس أو باحث، مهما اختلفت توجهاته، ينهل من منابعه الثرّة ما شاء؛ لذلك كان لزاما علينا أن ننقب عنه ونخرج مكنون صدفاته، لنزيّن بها عقود العلم في رقاب طالبيه.

الهوامش:

[1] ينظر : هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت،1992 ، ج2، ص289.

[2] ينظر : ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني، .دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 2000،ص59.

[3] ينظر : تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،1998، ج2 ،ص34.

[4] ينظر : معجم المؤلفين ، رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1993، ج2 ، ص210.

[5] فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف ،مراجعة وتقديم :عثمان بدري، منشورات ثالة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2002،ج3 ص103.

[6] تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الديسي ،تحقيق خير الدين شترة،دار كردادة الجزائر، الطبعة الأولى، 2012 ، ج1، ص654.

[7] ينظر : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، تقديم وتحقيق :أبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1987، ص11.

[8] فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، أبو راس الناصري ، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990 ،دت، ص98.

[9] ينظر : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص41.

[10] معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة،ص255.

[11] منشور الهداية ، ص60.

[12] ينظر : شيخ الإسلام عبد الكريم الفكّون داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى،1986 ، ص61.

[13] ينظر فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون، تحقيق أبو الأنوار بن المختار الدحية، دار الخليل القاسمي ، المسيلة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص13.

[14] ينظر : تعريف الخلف برجال السلف ، أبو القاسم الديسي،2012 ، ج1، ص655.

[15] تعريف الخلف برجال السلف ، أبو القاسم الديسي ، 2012 ، ج1، ص654.

[16] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون، ص17. مقدمة المحقّق.

[17] ينظر : ينظر فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص29. وهذه عبارته " وسمّيته بـ فتح المولى في شرح شواهد الشريف ".

[18] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص28.

[19] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص28.

[20] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص18.

[21] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص18.

[22] هو بدر الدين العيني اشتغل بعلوم عدة منها : الفقه والنحو والحديث والمعاني له شروح كثيرة.

[23] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص39.

[24] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص39.

[25] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص38.

[26] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص40.

[27] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص69.

[28] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص69.

[29] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت ، دط ،2007 ، ج1،ص353.

[30] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام، ج1،ص159.

[31] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص88.

[32] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص89.

[33] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص111.

[34] ينظر : فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص111.

[35] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص136.

[36] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص140.

[37] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص161.

[38] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص162.

[39] فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون،ص162.